معركة حصار الكوت وأثر المقاومة العراقية ١٩١٥-١٩١٦م

أ.م.د. ستار جبار الجابري
مركز الدراسات الدولية / جامعة بغداد

المقدمة :

تعد معركة حصار الكوت التي كانت تعرف باسم (كوت الإمارة) من المعارك الشهيرة التي شهدها العراق بين البريطانيين والعثمانيين في أثناء الحرب العالمية الأولى .

وكانت تلك المعركة حدثا فاصلا في سير المعارك الحربية في الجبهة العراقية بين القوات البريطانية والعثمانية، لذلك سيتناول البحث محورين، أولهما سير العمليات العسكرية ، واحتلال المدن العراقية تباعا من قبل القوات البريطانية وصولا إلى معركة حصار الكوت، وسنحاول فيه أن نركز كثيرا، ولا ندخل في كثير من التفاصيل التي لن تفيد موضوع البحث، والثاني سيتناول معركة حصار الكوت، وأثر المقاومة العراقية.

ونعتقد أن أهمية هذا البحث تتركز في تسليط الأضواء على بذرة مهمة من بذور مقاومة الاحتلال البريطاني من قبل العراقيين، على الرغم من إنها لم تكن بمستوى كبير، ولكنها أثرت بشكل أو بآخر على صمود القوات البريطانية في الكوت.

وقد اعتمد البحث على مجموعة من أهم المصادر التي وثقت تلك الحقبة المهمة من تاريخ العراق، وركزنا بشكل كبير على مذكرات الجنرال طونزند، التي وثق من خلالها أغلب جزئيات الحصار الذي تعرضت له قواته في الكوت.

أولا : الاحتلال البريطاني للعراق حتى حصار الكوت

تحركت الحملة البريطانية لاحتلال العراق في السادس من تشرين الثاني ١٩١٤م من البحرين، متوجهة نحو الشمال إلى العراق، وبعد مناوشات قصيرة ، استولت قوة بريطانية على الفاو دون أن تتكبد أي خسائر.

وفي اليوم التالي تحركت قوة أخرى فنزلت في منطقة السنية التي تبعد ستة عشر ميلا من الفاو، ثم توالت الحركات، واستمرت القوات البريطانية بالتقدم، حتى اضطر العثمانيون إلى الجلاء عن البصرة ليلة التاسع عشر والعشرين من الشهر ذاته ، وإذ ذاك برزت لدى البريطانيون فكرة الزحف نحو بغداد واحتلالها، وكانت أول مجابهة عثمانية للبريطانيين في معركة الشعيبة شمال البصرة التي بدأت في فجر الثاني عشر من نيسان ١٩١٥م[١].

اندفعت القوات البريطانية بعد انتهاء معركة الشعيبة لصالحها بسرعة فائقة ، حيث واصلت تقدمها على ضفاف نهر دجلة، فاحتلت العمارة في الثالث من حزيران، وتمكنت من الوصول إلى الكوت ومهاجمتها في اليوم الثامن والعشرين من أيلول، واحتلتها بعد يومين[٢].

تقدم البريطانيون نحو بغداد، حتى وصلوا سلمان باك (المدائن) التي تبعد نحوا من ثلاثين كيلو مترا جنوبي بغداد، وهناك وقعت معركة كبيرة انكسرت فيها القوات البريطانية، واضطرت إلى التراجع ليلة الرابع والعشرين والخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٩١٥م أمام القوات العثمانية التي أمدتها حكومتها بعدد كبير من الوحدات العسكرية[٣].

وصل الجنرال طونزند (Townshend) وقواته المنسحبة إلى الكوت في الثالث من كانون الأول ١٩١٥م، وكان عاقداً العزم على الثبات في ذلك الموقع وعدم الانسحاب منه لسببين ، الأول سوقي ذلك إنه إذا ما نجح في الصمود في الكوت الواقعة على نهري دجلة والحي ، فإنه سيحول دون زحف الجيش العثماني السادس، لأن زحفه متوقف على وسائل النقل النهرية ، شأنه في ذلك شأن البريطانيين ، أما نهر الحي فإنه يصل بين نهر دجلة ونهر الفرات في موضع الناصرية المهم . والثاني إنه في حالة صموده فإن السير (جون نكسن) قائد الحملة البريطانية في العراق من تجميع النجدات التي تصله ، وإرسالها إلى العمارة، ثم إلى الكوت، لكي تصد الهجوم العثماني المعاكس ، وبذلك تكون فرقة طونزند – الفرقة السادسة – بمثابة قوة تستر القطعات جميعها[٤].

أبرق الجنرال طونزند في السادس من كانون الأول ١٩١٥م إلى المقر العام للحملة البريطانية في البصرة مشيرا إلى أهمية حث الروس على الإسراع بحملتهم تجاه العراق[٥]، وقال إنه إذا قام الروس بهذه الحملة سيتغير موقفي التغيّر كله ، وذكر " إذا هدد الروس بغداد حوّل (فون در غولتز)[٦] كل قوته للدفاع، وحينئذ لا يبقى لي إلا مقاتلة قوة تركية صغرى في الكوت تعادل قوتي أو تزيد عليها زيادة طفيفة"[٧].

وتقليلا للقوات التي معه والتي يمكن الاستغناء عنها وبهدف الاقتصاد بالتموين الذي معه ، قرر الجنرال طونزند إخراج لواء الخيالة صباح اليوم السادس من كانون الأول من الكوت ، وأرسله باتجاه علي الغربي، ليلتحق بالنجدات التي ترد من البصرة . وأرسل مع ذلك اللواء أرتال نقلية العجلات والحمل والبطرية الثقيلة، وبرفقته جميع المرضى والجرحى بطريق النهر إلى العمارة ، فضلا عن ذلك فقد سمح للطائرات بمغادرة الكوت إلى علي الغربي لتقوم من هناك بطلعات استطلاعية على الجيش العثماني[٨].

بدأت القوات العثمانية بمحاصرة الكوت في اليوم السابع من كانون الأول ١٩١٥م، وكانت تلك القوات بقيادة العميد (نور الدين بك) قائد قوات العراق ، المرتبط بقائد الجيش السادس المشير (فون در غولتز)[٩].

وصل الجنرال أيلمر (Aylmer) إلى العمارة في الثاني عشر من كانون الأول ١٩١٥م على رأس قوات النجدة البريطانية للتحضير لإنقاذ الكوت[١٠]، وبعد أن فشلت العديد من المحاولات لاقتحام الكوت عنوة، ولاسيما المحاولة الأخيرة في اليوم الخامس والعشرين من كانون الأول ، قرر العميد نور الدين بك التقدم لإيقاف القوات البريطانية الزاحفة لإنقاذ الكوت ، وكانت الخيالة العثمانية قد أسست التماس مع البريطانيين قرب علي الغربي منذ الخامس والعشرين من كانون الأول[١١].

ووقعت بالقرب من الكوت عدة معارك بين القوات العثمانية والبريطانية، وهي معركة شيخ سعد للمدة من اليوم السادس حتى الثامن من كانون الثاني ١٩١٦م، ومعركة وادي كلال في اليوم الثالث عشر من كانون الثاني، ومعركة الحنّة (الفلاحية الأولى) في اليوم الحادي والعشرين من الشهر نفسه، ومعركة الفلاحية الثانية في اليوم الثاني والعشرين من شباط ، ومعركة سابس في اليوم الثامن من آذار، ومعركة تلول زمزير في اليوم الحادي عشر من آذار، ومعركة الفلاحية الثالثة للمدة من الثاني عشر وحتى الثاني والعشرين من نيسان ١٩١٦م ، فشل في جميعها الجنرال أيلمر والجنرال غورنج (G.Gorringe) في فك الحصار عن القوات البريطانية المحاصرة في الكوت[١٢]، فضلا عن ذلك فشلت محاولة رشوة القادة العثمانيين عن طريق المهمة السرية التي قام بها (لورنس) بأوامر مباشرة من وزارة الحرب البريطانية ، لغرض رفع الحصار عن القوات البريطانية عن طريق رشوة أولئك القادة بالباونات الذهبية ، وبلغ ذلك العرض مليون باون ذهبي رفعت إلى مليونين فيما بعد[١٣].

ثانيا : أثر المقاومة العراقية

أما بالنسبة للمقاومة العراقية ، فقد كان المقاتلون العراقيون يتعقبون قوات الجنرال طونزند بعد انسحابها من سلمان باك، حتى أن طونزند ذكر: "ولم ينفك فرسان العرب يدنون من ساحتنا"[١٤].

وكان هؤلاء الفرسان يقتلون كل من يلحقونه من الجنود البريطانيين، لاسيما وأن بعضهم كانوا يتخلفون عن القوة المنسحبة بسبب الإعياء والتعب الشديد[١٥]، كما اقتحم الفرسان العراقيون المخفر الذي تركه طونزند خلفه في العزيزية، واستولوا على ما تركه طونزند من تجهيزات[١٦]، وكان أكثر ما يخشاه طونزند وكبار ضباطه عند انسحابهم إلى الكوت هو هجمات الخيالة العراقيين المعادين لهم[١٧].

حاول طونزند إخراج أبناء الكوت من المدينة ، ولكن السير برسي كوكس (Perce Cox) ارتأى عكس ذلك، لأن إخراجهم في ذلك الشتاء القاسي سيودي بحياة الأطفال والنساء إلى الموت ، وإن ذلك سيؤدي إلى نقمة كبيرة[١٨]، وأوصى

فقط بإخراج الذين لا يملكون بيوتا فيها – أي الغرباء – ما عدا الذين يوصي حاكم الكوت العسكري بإبقائهم فيها ، وبلغ عددهم سبعمائة شخص ، كما احتجز عشرين من وجهاء المدينة كرهائن لكي يضمن هدوء سكان المدينة[١٩]، ذلك أنه كان يقول: " كنت أعرف أنهم كانوا على اتصال بالعدو، وما للشك في ذلك من سبيل ، وكنت قلقا من أن كثيرا من البندقيات قد دفنت أو أخفيت ... ومن المحقق أن النتائج تكون وخيمة لو حرضهم العدو على الثورة، حيث كان ثمة هجوم يجري على جبهتنا الشمالية ، لذلك أوقفت بعض متقدمي المدينة ، وأعلنت أنني سأرميهم بالرصاص إن بدت أية بادرة تدل على (خيانة)، ولكي أوقف سلب الأعراب ونهبهم قدمت إلى مجلس عسكري ١٢ رجلا وجدوا متلبسين به وأعدموا بالرصاص"[٢٠]، وكان لا يطمئن إلى السكان من أبناء المدينة ، ويقول بأنهم لا يمكن الاعتماد عليهم[٢١].

كان في الكوت من الطعام ما يكفي سكان البلدة لثلاثة أشهر ، لذلك خول الجنرال طونزند الحاكم العسكري للمدينة لشراء كل الحبوب الموجودة في الكوت[٢٢]، كما أمر لواء الخيالة بأن يقوم بجمع المواشي خلال يومين من القرى والعشائر المجاورة ، فيسوقها إلى الكوت ، ويعسكر في حافة المدينة الشرقية[٢٣].

فضلا عن ذلك فقد أمر بجمع كل السلاح في المدينة خشية قيام سكانها بثورة عليهم، فقام الانضباط العسكري في اليوم الخامس من كانون الأول بالتحري عن الأسلحة وجمع ما عثر عليه من سلاح[٢٤].

واستغنى الجنرال طونزند – كما أشرنا – عن بعض قواته خشيه طول مدة الحصار وعدم تمكنه من تأمين الغذاء لهم، فأرسل لواء الخيالة إلى علي الغربي ، لكن هذا اللواء واجه مقاومة عنيفة من العشائر في طريقه[٢٥]، وأبرزها ربيعة وعجيل، وكان عدد الفرسان الذين هاجموا القوة البريطانية ثمانمائة فارس، فضلا عن ذلك لقيت تلك القوة العداء من كل عراقي في الطريق إلى أن وصلت إلى علي الغربي في اليوم الثامن من كانون الأول ١٩١٥م[٢٦].

وصل المارشال فون در غولتز قائد الجيش التركي السادس في اليوم الثاني عشر من كانون الأول ١٩١٥م إلى الكوت، وبعد اطلاعه على الموقف العسكري قرر الاكتفاء بمحاصرة الكوت والتقرب تدريجيا إلى الخنادق البريطانية، ومحاولة الاستيلاء عليها ، لإحراج موقف القوات المحصورة ، وإجبارهم على التسليم . كما أمر لواء الخيالة العراقي، ولواء العشائر بالتوجه إلى علي الغربي لطرد رتل البريطانيين المنسحب من الكوت ، ولتأسيس تماس مع قوات الإنقاذ البريطانية التي بدأت تتحشد بجوار علي الغربي[٢٧].

وبالفعل تحرك لواء خيالة العشائر بقيادة محمد فاضل باشا من جوار الكوت في منتصف كانون الأول باتجاه علي الغربي، وحصل تماس بينه وبين طلائع الجنرال أيلمر قائد فيلق دجلة البريطاني في اليوم الخامس والعشرين من كانون الأول ١٩١٥م[٢٨].

بدأت القوات العثمانية بقصف مواقع الفرقة البريطانية السادسة المحاصرة في الكوت بعد فرض الحصار عليها، واعتقد طونزند أن القصف اليومي لمقر الفرقة يعود إلى أن سكان الكوت كانوا ينبئون العثمانيين بمواقع القوات البريطانية[٢٩]، لذلك كتب إلى الجنرال (أيلمر) يخبره بأنه مضطر لأن يخصص عدد كبير من الشرطة العسكرية للسهر على تحركات العراقيين ليلا ونهارا والعمل على تفتيش المنازل بحثا عن السلاح[٣٠].

وعلى الرغم من وضعه العتاد في أبنية منفصلة عن غيرها في المدينة إلا إن طونزند اتخذ جميع التدابير لحراستها خيفة من أن تطالها يد المقاتلين العراقيين الذين كانوا يقطعون النهر سباحة في الليل، ويدخلون الكوت بسهولة[٣١].

أمر الجنرال طونزند بمصادرة جميع المواد الغذائية في الكوت، بيد أن الحاكم العسكري وجد أن ابتياع هذه المواد من السكان أمرا مناسبا ، لذلك لجأ إلى هذه الوسيلة[٣٢]، وقد امتنع طونزند حتى ذلك الوقت عن تفتيش دور أبناء الكوت بحثا عن الطعام، إذ ذكر " إن السكان العرب في الكوت يبلغ عددهم ستة آلاف نسمة، وهم معادون بلا ريب ... مما يشكل

خطرا حقيقيا ... وإنني لا أريد البحث عن الطعام إلى أن أضطر إلى ذلك ... وقد علمت بأن هناك طعاما كثيرا في المدينة ، ولكن ليس كثيرا جدا كما تبين لنا"[٣٣].

وكان لدى الجنرال طونزند في اليوم الحادي والعشرين من كانون الثاني من الطعام ما يكفي الجنود البريطانيين والهنود أربعة عشر يوما فقط ، ولما شعر بأن أمد الحصار سيطول صمم على مصادرة جميع المواد الغذائية الموجودة في الكوت . ففتش جميع المنازل منزلا منزلا ، وأعطى مكافأة لكل من ينبئه بمخابئ الحبوب المواد الغذائية، ذلك أن الأغنياء من أبناء الكوت حاولوا إخفاء الطعام الموجود عندهم ، فوجد كميات كبيرة من الحبوب[٣٤].

وعلى الرغم من عمليات المصادرة هذه للطعام ، إلا أن البريطانيين كانوا يشكون بأن العراقيين لا زالوا يحتفظون ببعض الطعام ، فلاحظوا على أبناء الكوت أن " قلة منهم ظهرت عليه إمارات الهزال من مسبغة وحتى النهاية ، وكان الأطفال يتراؤون على حظ من سمنة ، ولم يظهر عليهم أنهم يشكون من قلة الطعام"[٣].

وبينما كان الجنرال طونزند يعمل على تصنيع جسرين بسرية تامة لكي يعبر بهما إلى الجهة المقابلة بغية مساعدة قوات الجنرال أيلمر التي وصلت لنجدته والالتحاق به ، هرب ثلاثة من العراقيين[٣٦] ليلة الرابع والخامس من آذار ١٩١٦م، وقطعوا نهر دجلة سباحة، واخبروا العثمانيين بأمر الجسرين، فاحتلت القوات العثمانية صباح اليوم الخامس من آذار خنادق جديدة على الضفة اليمنى قبالة بلدة الكوت ، وهو الموقع التي كان الجنرال طونزند ينوي نصب الجسور بها وأفشلوا مساعيه[٣٧] ، لذلك كان طونزند يعاني من أن جميع معلومات معسكره مكشوفة أمام العثمانيين، وكانت شكواه المستمرة بأن جميع المعلومات الخاصة بالمعسكر البريطاني معروفة تماما لعدوه بسبب أبناء الكوت[٣٨].

أرسل الجنرال طونزند في اليوم العاشر من آذار ١٩١٦م تقريرا عن دفاع الكوت ، تحدث فيه لأول مرة عن الانسحاب من الكوت ، والكيفية التي يتم بها ، وهل يكون عن طريق الاستسلام لقوات خليل باشا، أم باختراق قواته للتحصينات العثمانية بالقوة . واستبعد الاحتمال الثاني لأسباب عديدة ، منها قوله إننا " كوننا في العراق، وهي بلاد عربية، وكل رجل من سكانها قائم علينا ، وكل بندقية فيها مصوبة نحونا ، فلو تمكنت من الخروج بثلاثمائة رجل لخدمني الحظ جل خدمة"[٣٩].

ولما اشتدت قسوة الحصار ، أمر الجنرال طونزند الحاكم العسكري بأن يطلب من السكان أن يبيعوا له (١٤٣٠) مندا من الشعير، إذ كان يعتقد بأن السكان قد أخفوا الشعير عنه ، وتوعدهم بقوله " إذا لم يقدموا الشعير المطلوب منهم فتشت البيوت، وعاقبت الشخص الذي نعثر على الحبوب عنده عقوبة صارمة جدا"[٤٠].

وذكر طونزند " لولا العثور على الحبوب في البلدة لسلمنا للعدو في شهر شباط ، لأنني لما دخلت الكوت كانت أرزاقنا تكفي القطعات البريطانية شهرا والجنود البريطانية ٥٥ يوما"[٤١].

وكان أبناء الكوت لا يأخذون النقود الورقية ، حتى أنهم كانوا يصرفون روبية لقاء ورقة العشر روبيات، لأنهم كانوا يعتقدون بانتصار العثمانيين ، فكانوا يضمرون العداء للبريطانيين ، لذلك ذكر طونزند " لا أستطيع جلد ٦٠٠٠ شخص لامتناعهم عن أخذ النقود الورقية ، وجل ما استطيع عمله لتأديبهم أن أعدم شخصا منهم في بعض الأحايين ممن يرتكبون جرم التجسس فأجعله عبرة لغيره"[٤٢].

كما اشتكى من عدم استطاعته دفع ثمن ما يشتريه إيصالات يدفعها للبائع ، كما كان الحال في جنوب أفريقيا ، لذلك طلب من قيادته إرسال الأموال إليه وهو محاصر في الكوت عن طريق الطائرات[٤٣].

وبالفعل ألقيت عن طريق الطائرات سبعة أكياس مملوءة بالروبيات على حامية الكوت ، بيد أنها أثارت الحنق الشديد لدى طونزند الذي كان يصرخ " يجب أن يلقى الطعام قبل كل شيء "[٤٤]، في إشارة منه إلى أن الطعام أهم من الأموال لاسيما في الأيام الأخيرة من الحصار .

تلقى الجنرال طونزند في العاشر من نيسان ١٩١٦م برقية من المقر العام للحملة البريطانية تشير إلى أنها لن تستطيع إنقاذه قبل اليوم الخامس عشر من نيسان ، وأن عليه أن يسعى في إطالة أمد الحصار، واقترحت عليه إخراج جميع السكان العراقيين من الكوت ، ما عدا بضعة أشخاص ممن يمكن الإفادة منهم لتحقيق غاية إطالة أمد الحصار ، واستفسر منه المقر العام إلى أي وقت يمكن أن يدوم الحصار في حالة خروج السكان من البلدة ، وكيفية إخراجهم. كما اعتقد المقر العام أنه إذا ما فتش البيوت مرة أخرى بيتا بيتا فإنه قد يحصل على بعض المواد الغذائية ، فأجاب على هذه البرقية في اليوم التالي بأن مسألة إخراج السكان من الكوت صحيحة من الناحية النظرية، ولكنها مستحيلة من الناحية العملية ، فضلا عن ذلك فقد أخبر المقر العام بأن العثمانيين يطلقون النار على كل عراقي يقع نظرهم عليه وهو يحاول الخروج من الكوت، وكان رجال المهيلات عندما يفرون سباحة ليلا تصليهم الربيئات العثمانية نارا حامية من الضفة اليمنى، وقال: "قبل بضع ليال رجع شخص من سكان الكوت الذين نجوا من الترك، فروى أن الترك قبضوا على الجماعة التي كان فيها عند نزولها إلى البر على الضفة اليمنى ، فحاكم الترك أفراد تلك الجماعة ، وأعدموهم على الفور رميا بالرصاص ، أما هو فتمكن وحده من النجاة "[٤٥].

فضلا عن ذلك فقد أشار إلى أن النساء والأطفال لا يمكنهم عبور الفيضان من الجانب البري بين خنادق البريطانيين والعثمانيين ، لأن تلك الخنادق وطرق المواصلات مغمورة بمياه الفيضان ، أما عن الخط النهري فقال: "إذا وضعت سكان البلدة في المهيلات التي عندي ويبلغ عددها الثلاثين ، بحيث أضع في مهيلة مائة أو مائتي شخص، أطلق الترك النار على هذه المهيلات ، فيذبح أولئك العرب ذبحا هائلا ، ويردد صدى الفاجعة في قاصي العراق ودانيه، ويقول العرب هذه هي حماية البريطانيين للعرب الذين أصبحوا تحت حكمهم، ويكون لهذه الحادثة تأثير سياسي سيء جدا"[٤٦].

وأخبر طونزند المقر العام إنه استخرج من البلدة أثناء الحصار (٩٠٠) طن شعير، و(١٥٠) طن قمح، و(١٦٠٠) طن سمن، وقال لولا هذه المواد لسقطت الكوت منذ مدة طويلة[٤٧].

اتصل الجنرال طونزند بعد فشل جميع المحاولات البريطانية لفك الحصار وانهيار جيشه جوعا بخليل باشا في اليوم الخامس والعشرين من نيسان ١٩١٦م، وتم الاتفاق على استسلام البريطانيين دون قيد أو شرط، الأمر الذي تم في التاسع والعشرين من الشهر نفسه ، بعد أن دمر المدافع وجميع الأسلحة والمواد الأخرى والعتاد ومعدات التلغراف اللاسلكي وغيرها والتي كانت بحوزته، فدخل فوج تركي إلى بلدة الكوت وتولى حراستها[٤٨].

وكانت القوة المستسلمة مؤلفة من ٢٧٧ ضابط بريطاني، و٢٠٤ ضابط هندي، و٢٥٩٢ جندي بريطاني، و٦٩٨٨ جندي هندي، و٣٢٤٨ من الأتباع الهنود (غير المحاربين)، وبذلك بلغ المجموع ١٣٣٠٩ شخصا، وكان قد قتل أثناء الحصار ١٠٢٥ شخصا من المحاصرين متأثرين بجراحهم ، ومات ٧٢١ شخصا نتيجة المرض، وجرح ٢٥٠٠ شخصا، وفقد ٧٢ شخصا، وكان في المستشفى ١٤٥٠ شخصا من الجرحى[٤٩].

وبعد أن دخل الأتراك إلى الكوت عذبوا الكثير من أبناء المدينة ، وضربوهم ضربا مبرحا، بحجة وقوفهم إلى جانب البريطانيين، كما أعدموا المترجم اليهودي ساسون شنقا[٥٠] ، فضلا عن إعدام بعض المواطنين العراقيين المسلمين[٥١].

الخاتمة :

تعد معركة حصار الكوت واحدة من أهم المعارك التي جرت بين العثمانيين والبريطانيين في الجبهة العراقية أثناء الحرب العالمية الأولى ، والتي أسفرت عن أكبر هزيمة عرفها البريطانيون في العراق منذ بداية احتلالهم له في العام ١٩١٤م .

وتمثلت المقاومة العراقية أثناء معركة حصار الكوت بالعديد من الصور أهمها مقاومة قوات الاحتلال بشكل مباشر ، ولاسيما عند الانفراد بمجموعة من الأفراد أو القطعات الصغيرة ، والاصطدام معها، فضلا عن الإفشاء بأسرار البريطانيين ، ونقل أخبار المعسكر البريطاني إلى العثمانيين، واضطرار الجنرال طونزند إلى تخصيص أعداد كبيرة من الشرطة العسكرية لحفظ أمن القوات البريطانية، وحماية المخازن والعتاد، كذلك الامتناع عن تقديم الطعام ومحاولة إخفائه ، والامتناع عن استخدام الأوراق النقدية في بادرة لعدم الثقة بالبريطانيين وإحراجهم . ولم يكن كل ذلك بسبب ميل العراقيين للعثمانيين – كما كان يدعي قائد الحملة البريطانية – وإنما بسبب نزوع العراقيين إلى الحرية والاستقلال ، والدليل على ذلك هو الإرهاب الذي استخدمه العثمانيون عند دخولهم الكوت مع العراقيين من أبناء مدينة الكوت.

كلية التربية الأساسية ـ جامعة بابل

الهوامش:

١. رسل برادون، حصار الكوت في الحرب بين الانكليز والأتراك في العراق سنة ١٩١٤– ١٩١٨، ج ١، ترجمة سليم طه التكريتي وعبد المجيد ياسين التكريتي ، دار إحياء التراث العربي، (بغداد، ١٩٨٥)، ص٣–٤.
٢. شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤–١٩١٨، مطبعة العاني، ط٨، (بغداد، ١٩٧٤)، ص٣٧–٤٨.
٣. طه الهاشمي، حرب العراق، ج١، ط٢، مطبعة النجاح، (بغداد، ١٩٣٦)، ص٢٣٦–٢٥٦؛ عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٣، مطبعة العاني، (بغداد ، ١٩٦٧)، ص٧٢.
٤. طونزند، مذكرات الفريق طونزند، ترجمة: حامد أحمد الورد، ط٢، الدار العربية للموسوعات، (د.م، ١٩٨٦)، ص٣٥١.
٥. بعد أن اضطر الجنرال طونزند إلى التراجع نحو الكوت وحصاره فيها ، أخذ البريطانيون يحثون الروس على التقدم في شتاء ١٩١٥ لتهديد بغداد ومؤخرة الجيش العثماني ، وبذلك يساعدون البريطانيين في إنقاذ الكوت ، ويخففون عن الجنرال طونزند ، وجرت حركات الجيش الروسي داخل الحدود العراقية في ثلاث جبهات هي : خانقين ، والسليمانية ، وراوندوز ، فخصص الفيلق القفقاسي الأول بقيادة الجنرال باراتوف للتقدم نحو بغداد على طريق همدان – كرمنشاه – خانقين – بغداد، والفيلق القفقاسي الثاني بقيادة الجنرال جرنازوبوف لتهديد السليمانية وراوندوز ، والتقدم نحو الموصل، وعند وصول المشير الألماني فون در غولتز إلى بغداد ، وتعيينه قائدا للجيش السادس العثماني، ألف قوة باسم رتل إيران بقيادة العقيد شوكت بك للتصدي لهذه القوة . ومن الضروري الإشارة إلى أن الجهود الروسية تأخرت عن وقتها ، إذ استسلم الجنرال طونزند قبل أن يكون لها تأثير معين في العراق. لمزيد من التفاصيل ينظر: شكري محمود نديم، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤– ١٩١٧، ط٢، دار التضامن، (بغداد، ١٩٦٧)، ص١٤–١٥،٢١،٣٥،٤٤–٤٥؛ رؤوف البحراني، مذكرات رؤوف البحراني – لمحات عن وضع العراق في أواخر العهد العثماني من ١٩٠٠ إلى ١٩٢٠، ج١، (بغداد، ١٩٩٣)، ص١١٥–١٢٠.
٦. المشير فون در غولتز: ضابط ألماني كان في الثالثة والسبعين من عمره، أنيطت به قيادة الجيش العثماني السادس في العراق في اليوم الثالث والعشرين من أيلول ١٩١٥ ... ووصل بغداد في اليوم السادس من كانون الأول ١٩١٥، وكانت له خدمات طويلة في الدولة العثمانية، اشتهر بعلمه ونشاطه، لمزيد من التفاصيل ينظر: شكري محمود نديم، حرب العراق، ص٧٧–٧٨؛ سليم طه التكريتي، فصول من تاريخ العراق الحديث – استسلام الحامية الانكليزية في الكوت في أثناء الحرب العالمية الأولى، مجلة آفاق عربية، السنة الثالثة، العدد الثالث، تشرين الثاني، ١٩٧٧، ص٥٥.

٧. طونزند ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢ ؛ فاروق صالح العمر ، حول سياسة بريطانيا في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ، ١٩٧٧) ، ص ١٨ .

٨. محمد أمين العمري ، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى سنة ١٩١٤-١٩١٨، ج١، المطبعة العربية، (بغداد ، ١٩٣٥) ، ص ٢٤-٢٦ ؛ رسل برادون ، المصدر السابق، ج١، ص١٩٥.

٩. محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٩ .

١٠. رسل برادون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

١١. شكري محمود نديم ، حرب العراق ، ص ٩١ .

١٢. لمزيد من التفاصيل حول العمليات العسكرية والمعارك بين الجيشين البريطاني والعثماني ينظر: محمد أمين العمري ، المصدر السابق، ج١، ص ٤٠-١٤٠ ؛ شكري محمود نديم ، حرب العراق، ص٩١-١١٠؛ طونزند ، المصدر السابق، ص٣٩١-٥٤٠؛ رسل برادون ، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٥-٢٨٥.

١٣. فيليب ويلارد أيرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط، دار الكشاف، (بيروت، ١٩٤٩)، ص٤١؛ عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص٧٢؛ هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ج١، ترجمة سليم طه التكريتي، دار الفجر للنشر والتوزيع، (بغداد، ١٩٨٩)، ص٧٦.

١٤. طونزند، المصدر السابق، ص٣٢٢؛ ينظر كذلك: فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص١٧.

١٥. المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، دار الكشاف (بيروت، ١٩٤٩)، ص٣٤؛ رسل برادون، المصدر السابق، ج١، ص١٦٥-١٦٦؛ طونزند، المصدر السابق، ص٣٢٥.

١٦. رسل برادون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

١٧. المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .

١٨. أرنولد ويلسن، بلاد ما بين النهرين بين ولائين، ج١، ط٢، ترجمة: فؤاد جميل، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٩١)، ص١٩٥-١٩٦؛ طونزند، المصدر السابق، ص ٣٧٩-٣٨٠ .

١٩. طونزند ، المصدر السابق ، ص ٣٥٨ .

٢٠. المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .

٢١. فاروق صالح العمر ، المصدر السابق ، ص ١٨ ؛ رسل برادون، المصدر السابق، ج١، ص١٧٩.

٢٢. طونزند ، المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

٢٣. محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣ .

٢٤. محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥ ؛ طونزند ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢.

٢٥. محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦ .

٢٦. طونزند ، المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .

٢٧. محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨،٤١ .

٢٨. المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

٢٩. طونزند ، المصدر السابق ، ٣٩١ .

٣٠. المصدر نفسه ، ص ٤٣٦ .

٣١. المصدر نفسه ، ص ٤٤٢ .

٣٢. المصدر نفسه ، ص ٤١٨ .

٣٣.رسل برادون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٢ .
٣٤.طونزند ، المصدر السابق ، ص ٤١٨-٤١٩ .
٣٥.أرنولد ويلسن ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .
٣٦.وهم ثلاثة من بحارة المهيلات (نوع من السفن) .
٣٧.طونزند ، المصدر السابق ، ص ٤٧٢-٤٧٣ .
٣٨.سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص٤٥؛ ينظر كذلك: المس بيل، المصدر السابق، ص٣٤.
٣٩.طونزند ، المصدر السابق ، ص ٤٨٦ .
٤٠.المصدر نفسه ، ص ٤٨٩ .
٤١.المصدر نفسه ، ص ٥٠٨ .
٤٢.طونزند، المصدر السابق، ص٥٠٨؛ ينظر كذلك: رسل برادون، المصدر السابق، ج١، ص٢١٧.
٤٣.طونزند ، المصدر السابق ، ص ٥٠٨ .
٤٤.سليم طه التكريتي ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .
٤٥.طونزند ، المصدر السابق ، ص ٥٢٥-٥٢٦؛ سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص٤٦.
٤٦.طونزند ، المصدر السابق ، ص ٥٢٦-٥٢٧ ؛ سليم طه التكريتي ، المصدر السابق ، ص٤٦.
٤٧.طونزند ، المصدر السابق ، ص ٥٢٧ .
٤٨.المصدر نفسه ، ص ٥٤٤ .
٤٩.أرنولد ويلسن ، المصدر السابق ، ص ٢١٢ .
٥٠.المصدر نفسه ، ص ٢١٣ .
٥١.أعدمت السلطات العثمانية كل من الحاج عباس العلي وولديه علي ومحسن، ومحمد نجيب أبو شويلية رئيس البلدة، وناموس شيخ جصان ، وعبد من عبيد الحاج عباس العلي. تنظر: المس بيل، المصدر السابق، هامش ص ٣٤ .

١٤١٣هـ ١٩٩٤م